الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: اكتوبر
التاريخ: ٢٠٠١/٥/٢٠

تحقيقات أكتوبر

لماذا حضر هيكل.. وغاب أنيس..؟!

وهل هناك أخطاء تاريخية فى «أيام السادات»؟!

السادات
على طريقة أحمد زكى

تحقيق

من ظلام الشاشة يظهر تاريخ المشهد الأول: «سبتمبر ١٩٧٠»، والمكان الذى يدور فيه: «بيت عبد الناصر». وتمضى الأحداث كالتالى: يدخل السادات إلى منزل جمال عبد الناصر وبمجرد دخوله يرى عددا من الرجال فى أقصى اليمين وإلى أقصى اليسار موزعين فى المكان وفى حالة بكاء وتشنج وسوف نعرف من ملامحهم سامى شرف وعلى صبرى وحسين الشافعى وهيكل وزوجة عبد الناصر السيدة تحية.. لقد مات عبد الناصر لا فائدة.. ويتقدم السادات يرفع الغطاء عن وجه الراحل ويقبل رأسه ويغطيه ثم ينتهى المشهد..

تترى المشاهد لتصل إلى ثمانية تسجل اقبال السلطة إلى السادات قبل أن تنزل التترات ويبدأ الجزء الأول من أحداث فيلم السادات أو أيام السادات، هذا الجزء الذى يغطى طفولة الرئيس الراحل وعلاقته بالألمان وقضية مقتل أمين عثمان وحتى حصوله على البراءة.

ونحن لم نر الفيلم ولكن اطلعنا على نسخة السيناريو وهى وإن كانت لا تكفى للحكم على العمل- مثلما يقول أحمد زكى- لكنها تعطى مؤشرات أولية وكما يقول السينمائيون: «ورق جيد أو ورق ردىء».. فورق فيلم أيام السادات ورق جيد أول انطباع يعطيه هو أننا أمام إنتاج ضخم لم تتعوده السينما المصرية يغطى- فى ٢٤٥ مشهداً تستغرق على الشاشة حوالى الساعتين والنصف الساعة- ثلاثين عاما من عمر السادات وأحداث الوطن.

يرى أحمد زكى أيضا أن السيناريو قابل للتعديل حتى فى مرحلة المونتاج وهذا ما حدث لفيلم السادات لأنه فيلم مصنوع للأجيال ولمصر (الكلام لأحمد زكى) ولهذا لم يخضع لهوى ما. ولا يمكن تصنيفه مع أو ضد فهو فيلم يحكى التاريخ ولا يحكى وجهة نظر أحد، وبجانب السيناريو الذى كتبه أحمد بهجت كان هناك خط آخر استقينا منه المعلومات من أناس عاصروا السادات وكنا مثل المحققين الصحفيين أو وكلاء النيابة نريد أن نجمع من الآراء والأحداث المتناثرة المعلومات الصحيحة.

.. أنيس منصور؟

قلت لأحمد زكى: تم التركيز على شخصية هيكل وأغفلتم أنيس منصور مع أن الأخير له دور كبير فى حياة السادات مثلما كان للأول دور فى حياة عبد الناصر؟.

قال: إطلاقاً لم يكن هذا إغفالاً للأستاذ أنيس منصور ولكننا كنا نريد أن نغطى فترة زمنية طويلة جداً فى زمن محدود، وعلى العكس فمن الممكن أن نصنع فيلماً من حوارات السادات مع أنيس منصور أما ارتباطنا بهيكل فلأنه طالع من بطن التجربة الناصرية يعرفها جيداً

وشارك فيها وانعكس هذا على بداية مرحلة الرئيس السادات بانعكاسات مصيرية.. ولو كنا نغطى كل الشخصيات وكل الأحداث فهل تسمى عدم وجود كسينجر أو بيجين أو كثير من الشخصيات العربية والأجنبية إغفالا؟..

الهوى؟!

وحاولت أن أستدرج أحمد زكى فيما يشبه الاعتراف: فى هوى من وقعت عبد الناصر أم السادات؟ وأقصد الشخصية الدرامية وليس الشخصية الحقيقية لكنه داور وناور ولم يقع فى الفخ وتمسك بأقواله: كل عصر فيه إيجابيات وسلبيات والجاحد من ينكر ذلك، وأضاف: أرجوكم رحمة بنا وببلدنا وأرجو من كل من يدخل فيلم السادات أن يترك على باب السينما أفكاره المسبقة وبعد أن يرى الفيلم يعطى نفسه فرصة للتفكير، ولا تخلطوا الأيديولوجيات بالفن.. أنا ليس لى هوى مع أحد ولكنى فنان أسعى لتجسيد كل ألوان الطيف فأرحمونى أنا الآخر..

وفيلم السادات- بالتأكيد- ليس فيلما تسجيليا ولكنه فيلم روائى يتعامل مع التاريخ بحذر شديد فهل سيمنع هذا الحذر من وقوع القدر أقصد هجوم الناصريين؟.. من واقع سيناريو فيلم السادات نتوقع أن تفجر المشاهد التالية بعض الأزمات.

مشهد اقتحام مبنى القيادة العسكرية فى كوبرى القبة

يوسف صديق والجنود يقتحمون القاعة ويحيطون بالموجودين.

إبراهيم عطا الله (رئيس أركان الجيش) إيه ده؟. فيه إيه؟.. بتعملوا إيه ؟.. وأنت مين؟..

يوسف صديق: هدوء.. هدوء.. مش عاوز انفلات أعصاب، اسمى يوسف صديق.

أحد الضباط يصيح معلقا.

الضابط: الشيوعى!!

يوسف صديق يتجاهل التعليق.

ضابط كبير: أنت واعى للى بتعمله يا حضرة الضابط؟.. عارف أنت بتعمل إيه؟!..

يوسف صديق: أيوه يا افندم.

يوسف صديق يقترب منه بنشاط..يدق كعبه على الأرض ويعظم .

يوسف صديق: تمام يا افندم.. حضراتكم مقبوض عليكم جميعا..

قطع

انتهى المشهد القصير فى الفيلم، المحورى فى الأحداث الحقيقية لثورة ٢٣ يوليو لأنه الحدث الذى حسم تقريبا الثورة لصالح الضباط الأحرار ولم يكن الحدث بمثل هذا الهدوء الذى تصوره الدراما فقد تم بعض تبادل لإطلاق النار (فى الأحداث الحقيقية) وقليل من المقاومة داخل مبنى القيادة راح ضحيتها صف ضابط، أما وصف يوسف صديق بالشيوعى فمردوده عند العامة اليوم غير مقبول.

مشهد بيان الثورة

قاعة رئاسة الجيش المجتمع فيها مجلس قيادة الثورة- بعد اقتحامها- يتصدر الجلسة محمد نجيب ويجلس على يمينه عبد الناصر منهمكا فى الكتابة.. عبد الحكيم يجلس على يساره، هرج ومرج، ضباط داخلون وخارجون جرس التليفون يدق.. السادات يتناول السماعة على الفور.

السادات: آلو.. آلو..

لحظة ينظر لهم وهو يسد السماعة.

السادات: ده وزير الحربية طالب الضابط النوبتجى.. لحظة واحدة يا افندم حاحولك عليه.

بصوت مختلف السادات: آلو.. صوت رصاص يا افندم.. لأ ما سمعتش حاجة ومدرعات كمان.. لا يا فندم كله تمام .. مفيش أى حاجة غير عادية.. كله تمام يا أفندم حاضر.. حاضر يا افندم تحت أمرك يا فندم..

عبد الناصر ينتهى من كتابة البيان ويناوله لمحمد نجيب.

عبد الناصر: ده البيان رقم واحد يا فندم.

محمد نجيب: من حايذيعه؟..

عبد الناصر: أنور السادات.

بعض الضباط يشيحون بوجوهم فى استياء..

عبد الناصر: العربى بتاعه كويس «وصوته كويس فى الميكرفون».

قطع

ومن المعروف تاريخياً، ومسجل فى المتحف الحربى أن الذى صاغ بيان الثورة الصاغ (الرائد) وقتها جمال حماد وليس جمال عبد الناصر كما يصور المشهد، وأذاعه بالفعل لأول مرة أنور السادات دون أن يذكر اسمه فى الإذاعة ولكن تم تقديمه على أنه مندوب القيادة، ودون اعتراض من أحد على شخصه وبعد الإذاعة الأولى للبيان غادر السادات مبنى الإذاعة ولم يتم تسجيل البيان واتصل المصريون بإذاعتهم يستجلون الحقيقة ويطالبون بإعادة إذاعة البيان لكن المذيعين رفضوا ربما خوفا من المسئولية فتقدم واحد من الضباط الموجودين فى مبنى الإذاعة (الرائد محيى عبد الرحمن) وقرأ البيان بطريقة ركيكة وبكثير من الأخطاء النحوية، فأتصل البعض بمجلس القيادة وانتقدوا ذلك، وكانت الأمور قد اتضحت لصالح الثورة فقام المذيع صلاح زكى بإذاعة البيان بصوته، أما البيان الشهير الذى نسمعه الآن بصوت السادات فقد قام الأخير بتسجيله فيما بعد قيل بعد ستة أشهر وفى قول آخر عشر سنوات.

مشهد خصومة نجيب

مكتب عبد الناصر المكتب بسيط فى مبنى مجلس قيادة الثورة، القطع على وجه عبد الناصر ويدور الحوار التالى بين عبد الناصر والسادات:

عبد الناصر: يعنى حاجات هايفة زى دى تضايقك؟.

السادات: محمد نجيب بيكرهنى.

عبد الناصر: مش لوحدك.

السادات: وهو مصدر الإشاعات اللى بتطلع عليا وعلى المجلس.

عبد الناصر: ولا يهمك.

السادات: وأخرتها.. أنا مش مطمن.. أعصابى بدأت تتعب من الصراعات داخل مجلس قيادة الثورة.

عبد الناصر: الصراعات دى حاحسمها فى الوقت المناسب .

قطع

واضح أن المشهد يلخص فاصلاً طويلا من صراع محمد نجيب ضد مجلس قيادة الثورة أو العكس، وهو صراع متعدد الأطرف والملابسات كان أبرز أحداثه صراع الأخوين سالم (صلاح وجمال) ضد محمد نجيب بإيعاز من عبد الناصر، وعلى العكس فقد كانت هناك علاقة مودة ما بين نجيب والسادات بدأت قبل الثورة بسنوات وأثناء اعتقال السادات وهروبه كان محمد نجيب يساعد أسرة السادات معنويا وماديا وبعد تولى السادات الحكم أراد أن يرد الجميل لنجيب فأطلق سراحه من الاعتقال الذى وضعه فيه عبد الناصر فى قصر زينب الوكيل بل عرض عليه أن يتملك هذا القصر لكن محمد نجيب رفض ذلك وهكذا لم يكن السادات عدوا لنجيب ولم يخطط للإطاحة به حيث لم يكن له مصلحة مباشرة فى ذلك.

مشهد الصراع ضد مراكز القوى

مدخل منزل السادات بالجيزة.. المتاريس والحرس والأمن .. أحد الضباط يتقدم نحو البوابة حيث أحد الرجال يوجد بكشك الأمن.. الضابط يخرج هويته.

الضابط: لو سمحت أنا عايز أقابل الرئيس.. مسألة حياة أو موت.

قطع

والسيناريو هنا يفترض أن ضابطاً على رتبة صغيرة يستطيع أن يحمل بعض شرائط التسجيل ويذهب إلى بيت رئيس الجمهورية يطلب مقابلته وهو ما لا يمكن أن يحدث ولكن الذى حدث أن الضابط ذهب إلى محمد عثمان إسماعيل أمين التنظيم فى ذلك الوقت وصاحب المواقف العديدة فى مساندة السادات فى صراعه ضد مراكز القوى فى مجلس الأمة، وعرض عليه الشرائط وبدوره طلب محمد عثمان إسماعيل مقابلة عاجلة مع الرئيس السادات

وأخبره بالأمر وتداعت الأحداث التى نعرفها بعد ذلك، وعلى ذكر محمد عثمان إسماعيل ودوره فى نشأة الجماعات الإسلامية ننتقل إلى المشهد التالى الذى يعرض تلك المسألة.

مشهد الجماعات الإسلامية

السادات وسيد مرعى وعثمان أحمد عثمان يمارسون رياضة المشى فى حديقة بيت الرئيس بالجيزة، الحرس على بعد، والموقف فيه شىء من القلق.

السادات: إبعاد مراكز القوى عن السلطة مش معناه أن كل شىء خلص.

سيد مرعى: إزاى يا ريس ما كلهم مشوا بالسلامة.

عثمان: الرئيس قصده مظاهرات الجامعة. مش جعجعة يا مرعى.. دول شباب متحمسين وفيه ناس استغلت حماسهم يا ريس وإحنا لازم نستغل حماسهم.

السادات يتوقف ويلتفت إليه ويتوقفون معه.

السادات: إزاى يا عثمان؟.

عثمان: بدل الماركسية والناصرية والوجودية والحاجات دى كلها نرجع للدين.

السادات: هو أحنا كنا كفرنا يا عثمان؟.

عثمان: لا مؤاخذة يا ريس أقصد نستعين بقوة من القوى الدينية الموجودة .

السادات: مثلا؟..

عثمان: الإخوان المسلمين

صدمة على وجه سيد مرعى وأيضاً على السادات الذى يستوعب الصدمة بسرعة.

سيد مرعى: أنت نسيت يا عثمان اللى بين الإخوان والنظام ما صنع الحداد.

السادات: يلتفت إلى سيد مرعى مقطبا.

السادات: مفيش ثوابت فى السياسة يا مرعى نشوف وجهة نظر عثمان وندرسها.

قطع

وهكذا يفترض السيناريو مرة أخرى أن الذى اقترح على السادات التعاون مع الإخوان أو تركهم يمارسون العمل السياسى فى العلن هو عثمان أحمد عثمان بينما الحقيقة التاريخية

تقول إن الذى قام بهذا الدور عثمان آخر هو محمد عثمان إسماعيل سابق الذكر، وبدأ بالفعل تكوين الجماعات الإسلامية سنة ١٩٧٢ بعد أن رفض عمر التلمسانى شروط السادات لعودة الإخوان والتى تلخصت فى تغيير اسم الجماعة وعدم السماح لكل من اشترك فى التنظيم السرى منهم بممارسة العمل السياسى، وأبلغ عمر التلمسانى محمد عثمان إسماعيل بهذا الرفض وهذا ما أخفاه محمد عثمان على السادات واقترح عليه بدلاً منه تكوين الجماعات الإسلامية فى الجامعة لضرب الشيوعيين. أما دور عثمان أحمد عثمان بالنسبة للإخوان فهو مساندتهم ماديا بتوظيف العديد منهم فى شركاته التى كونها بعد عودته إلى مصر ومزاولة نشاطه فى أعمال المقاولات.

واستكمالا لمسألة الجماعات الإسلامية يفترض أيضا السيناريو التفكير فى إنشائها بشكل فعلى جاء فى وقت متأخر من تولى السادات للسلطة وبالتحديد بعد مظاهرات ١٧، ١٨ يناير ١٩٧٧ التى أطلق عليها السادات تسمية انتفاضة الحرامية وجاء ذلك فى مشهد أورده السيناريو كالتالى:

القناطر..

السادات يسير مع مدير المخابرات.

السادات: اللى حصل فى ١٧، ١٨ يناير لا يمكن يتنسى أبدا دى انتفاضة حرامية حركها الشيوعيون ما أحنا سايبين لهم الساحة أنا عايز ندى فرصة أكبر للجماعات الإسلامية.

مدير المخابرات: بس ده بيمثل خطورة واضحة.

السادات: دى لعبة
توازن واحنا ح نمسك
العصاية من النص، المهم
إن اللى حصل ده ما
يتكررش أبدا.

قطع

السيدة جيهان تحضر مجلسا للحرب

فى شرفة قصر
الطاهرة يجلس كل من:
السادات، جيهان،
هيكل، حافظ إسماعيل.

سيد مرعى.

حافظ إسماعيل: أنا متأكد أن قواتنا قادرة على مواجهة الثغرة والتقدم أكثر.

السادات: وأنا كمان متأكد.. أنا ثقتى بالقوات المسلحة المصرية بلا حدود.. لكن الحكاية يا جماعة ما بقاتش حرب.. أنا بحارب أمريكا يا جماعة مش إسرائيل.. أنا اللى خايف منه أننا ننتشى بالنصر وننسى أن احتياطنا الاستراتيجى خلص.. أنا حليفى السوفيت ودول أبخل خلق الله وهم وراهم أمريكا.. إلى آخر المشهد..

ومنطقيا أن مناقشة مثل هذه لم تكن لتحضرها السيدة جيهان السادات وكان يمكن أن يكتفى السيناريو بوجودها فى المشهد التالى مباشرة لهذا المشهد حيث تجلس مع السيد الرئيس ويتحدث معها شارحا بعض المصطلحات التى تتعلق بالمفاوضات وتصوره (الرئيس) لمسألة المفاوضات وعدم نيته فى عدم التفريط فى حقوق السوريين والفلسطينيين.

وفيما عدا هذه الملاحظات القليلة فكاتب السيناريو حاول أن يتوخى الحذر الشديد فى

الأحداث وواضح أيضا أن مراجعه الأساسية اعتمدت على مرجعين هما كتابا البحث عن الذات وامرأة من مصر، حتى أن أحداث الفيلم تبدأ بمشهد مشهور ورد فى البحث عن الذات وهو مشهد الجدة التى اصطحبت الحفيد (السادات الطفل) وذهبت به إلى شاطئ النرعه تنتظر وصول المركب التى تحمل العسل ويتعالى على الورق وفى المشهد السينمائى صوت الريفيين من النساء والرجال والأطفال يرددون: العسل وصل.

أيضا نرى السيناريو حريصاً على أن يغطى كل حياة السادات أو على الأقل يسجل كل الأحداث المهمة فى حياته منذ طفولته وحتى حادث المنصة الذى يمثل فيه السادات رمزا للسلام الذى يهوى على أثر سقوط جثمان الرئيس الراحل بينما يعقد العرب والفلسطينيون الذين رفضو السلام من قبل اللقاءات والمؤتمرات مع الإسرائيليين!..

ومن المشاهد الظريفة والطريفة فى السيناريو ذلك المشهد الذى يدور بين السادات وابنه الشاب جمال ويؤرخ له الفيلم بسنة ١٩٧٢ أو عام الضباب هذه التسمية التى اقتبسها اليساريون على سبيل السخرية من إحدى خطب الرئيس السادات نفسه وركبوا عليها النكت التى تسخر من السادات، ويمضى المشهد يصور جمال الابن وأباه رئيس الجمهورية وهما يتمشيان فى حديقة المنزل بالجيزة والابن يشكو للأب من إحساسه بالحزن بسبب أن أصحابه أصبحوا يخشونه لأنه ابن رئيس الجمهورية ويتطرق الحديث فيروى جمال لأبيه السادات بعد إلحاح من الأخير نكتة سمعها تقول: «عربجى واقف بالحمار على كوبرى قصر النيل ومعطل المرور.

جاله الضابط وقال له: أنت ما بتمشيش ليه ومعطل المرور فرد عليه العربجى وقال: الضباب، قام الضابط بص حوليه لقى الدنيا رايقة فقاله: فين الضباب ده؟!.. قال العربجى: اسأل الحمار»!..

وأخيراً: إذا كان أحمد بهجت قد مال فى كتابته لسيناريو فيلم السادات إلى التسجيل فإن إخراج محمد خان لهذه المشاهد لابد أنه سيكسوها رداء الإبداع الدرامى باعتباره من أحسن المخرجين الدراميين فى تاريخ السينما المصرية ومعه أحمد زكى الذى شاركه أجمل أدواره فى فيلم زوجة رجل مهم.. أما فى فيلم السادات فيؤدى أحمد زكى نفسه دور الرجل المهم.

عاطف عبد الغنى

«مين السادات؟! ومين أحمد زكى»؟ سؤال لأقوياء الملاحظة!!

السادات وجيهان أو أحمد زكى وميرفت أمين